

مفاهيم القرآن

(42) 2. (قُلْ إِنْ ضَلَلْتُمْ فَإِنَّكُمْ أَضَلُّوا عَلَىٰ نَفْسِكُمْ وَإِنْ اهْتَدَيْتُمْ فَإِنَّكُمْ يَهْتَدُونَ إِلَىٰ رَحْمَةِ رَبِّكُمْ إِنَّكُمْ تَرَوْنَ إِلَيْنَا أَلْوَيْنًا وَمَا كُنَّا بِمُصْرِئِينَ) (1) ترى أن الآية تنسب الضلالة إلى نفس الإنسان، والهداية إلى وحيه سبحانه إليه، مع أن الهداية والضلالة كلاهما من الله سبحانه ، وما هذا إلا لأن الله سبحانه قد هبأ كافة وسائل الهداية للإنسان منذ أن خلق إلى أن يدرج في أكفانه، وهي عبارة عن تزويده بفطرة التوحيد وتعزيزها ببعث الأنبياء والمرسلين ، والعقل السليم، إلى غير ذلك من أدوات الهداية، فمن انتفع بها فقد اهتدى، فصح أن يقال: إن الهداية من الله لأن الله زود الإنسان بوسائلها، ومن لم ينتفع بها فقد ضلّ، فصح أن يقال (إن ضللت فإنما أضلّ على نفسي). وبهذا المضمون قوله سبحانه: (مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ) (عَلَيْهَا) (2) 3. (وَقُلِ الْحَقُّ مِنِّي رَبِّكُمُ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْوِ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ) (3) ولا تجد في القرآن الكريم آية أكثر نضاعة في حرية الإنسان من هذه الآية، وقد صبّ شهادتنا الثاني (909 – 966هـ) مضمون هذه الآية ضمن بيتين، حيث قال: لقد جاء في القرآن آية حكمة * تدمر آيات الضلال ومن يُجبر وتُخبر ان الاختيار بأيدينا * فمن شاء فليؤمّن ومن شاء فليكفر _____ (1)سبأ: 50، (2)الاسراء: 15، (3)الكهف: 29.